

المحاضرة الثانية

العنف والإجرام

1. مفهوم العنف:

يستعمل مصطلح العنف la violence للإشارة إلى عدة معاني: سمة في الشخصية (رجل عنيف)، تصرف أو سلوك ملموس (تخريب الممتلكات) أو إلى وضعية (عنف الحرب).

تعرف منظمة الصحة العالمية (OMS) العنف على أنه استعمال أو التهديد باستعمال القوة الفيزيكية أو البسيكولوجية ضد الذات، ضد شخص آخر أو مجموعة من الأشخاص، ما من شأنه أن يسبب: الموت، المعاناة البسيكولوجية، اختلالات في النمو أو إتلافات جسدية أو مادية أو مساسا بالممتلكات.

يمكن أن نعتبر العنف «قوة غير متوازنة يمكن أن تصيب الكمال الفيزيقي l'intégrité physique أو النفسي للفرد والتأثير على إنسانيته بهدف السيطرة والتدمير» (Blandine Kriegel, 2002).

2. مفهوم العدوانية L'agressivité:

يستعمل هذا المصطلح في حقل علم النفس المرضي للإشارة إلى سمة في الشخصية تكون مرتبطة بدافع لدى الفرد لإلحاق الأذى بشخص آخر، حيوان أو شيء.

عادة ما تُرِبط العدوانية بمفهوم غريزة البقاء التي تشير إلى ضرورة ضمان البقاء ومجموع الأفعال على المحيط الخارجي.

ميز لابوريت Laborit (1983) (طبيب وبيولوجي فرنسي 1914-1995) بين 3 أشكال من العدوانية: عدوانية مفترسة prédatrice (فطرية)، عدوانية للمنافسة de compétition، عدوانية دفاعية (حماية) défensive (عندما يكون الهروب مستحيلاً).

3. مفهوم الإعتداء L'agression:

يشير إلى سلوك خاص بين فردين على الأقل، حيث يفترض وجود معتد وضحية، فلا يوجد اعتداء من دون ضحية.

أما باس Buss (1961) فيعتبر كل سلوك يجرح أو يضر بالآخر اعتداءً.

يعرف أغلبية البسيكو سوسيولوجيين الإعتداء كسلوك يهدف إلى إحداث نتائج سلبية لدى الآخر، مثل الألم، المعاناة أو الموت (Bandura, 1973, Baron, 1977).

4. التصنيفات المختلفة للعنف:

1.4 تصنيف Buss (1961) (علم النفس التطوري/ الولايات المتحدة): يبين 3 أبعاد في علاقة مع بعضها البعض:

- بعد نشط: أين يكون العنف ممارساً على فرد أو موضوع و/أو بعد سلبي: أين يتعرض الفرد للعنف.
- مستوى فيزيقي: أين يترجم العنف بضربات، تصرفات، ... و/أو مستوى شفوي: أين يترجم العنف بكلام أو استفزازات.
- مساس مباشر: أين يوجه العنف ويمارس بشكل معلن و/أو مساس غير مباشر: أين يمارس العنف بشكل مراوغ.

2.4 تصنيف Feshbach (1964) (علم النفس الإكلينيكي/ الولايات المتحدة): الذي ميز بين 3 أنماط من العدوان:

- العدوان العدائي hostile: الذي يهدف لإنزال معاناة أو أضرار على الآخرين.
- العدوان الأداة instrumentale: الذي لا يكون الهدف منه عدوانياً ولكنه يمثل وسيلة لبلوغ هدف آخر.
- العدوان التعبيري expressive: والذي يبين إرادة في التعبير من خلال العدوان.

3.4 تصنيف Zillmann (1978): يميز بين:

- ❖ عنف مدفوع بظرف غير مريح: ويهدف لخفض أو التخلص من حالة عدم الراحة (الغضب، ...).
- ❖ عنف مدفوع بعامل خارجي: ويكون الهدف منه بلوغ هدف آخر.
- ❖ عنف تعبيري: ويكون هدفه التعبير بالعنف.

4.2 تصنيف Dodge et Coie (1987): الذي يميز بين شكلين من العنف:

- ✓ عنف مصدره الداخل proactive: ويشير إلى سلوكيات عنيفة تقترب تبعاً لإحباطات.

✓ عنف تفاعلي réactive: ويعكس السلوكات العنيفة المرتبطة بالوضعيات المستفزة.

5. خصائص العنف:

يمكن أن نميز بين:

- **عنف ينزله شخص ما على ذاته** (سلوكات انتحارية، automutilation، سلوكات خطرة)؛
- **عنف ما بين الأفراد** ويمثل التصرفات العنيفة بين الأفراد وفي مختلف الوضعيات (المدرسة، الأسرة،...)
- **عنف جماعي** (جماعات إرهابية، حروب،...)

6. مظاهر العنف:

- **عنف فيزيقي**: ضربات، جروح، سلوكات مستفزة أو مهددة، إهانة، إستعمال السلاح، إستعمال فح، إستعمال حيوان مدرب، كسر الأشياء، إتلافات مختلفة، تدمير، حريق، ...
- **عنف شفوي**: شتم، رغبة معبر عنها للإعتداء أو القتل، مساومة، إنتقاد معن بنبرة سيئة،...
- **عنف نفسي**: تحرش، إستغلال، إهانة،...
- **عنف جنسي**: ملامسات، إغتصاب، زنا محارم، إعتداء جنسي على الأطفال،...

7. العوامل المحددة للعنف:

1.7. العوامل الفردية: (الطابع الوراثي للعنف)

هي العوامل المرتبطة بسمات الشخصية والتي يمكن أن تدفع الفرد لتبني سلوكات عنيفة، حيث بينت الأبحاث أن مرور الأفراد إلى السلوك العنيف مرتبط بغياب الخوف من العقوبة المترتبة عنه وغياب (أو شبه غياب) للشعور بالذنب بعد القيام بالفعل وإعتقاد هؤلاء بقدرتهم على مراقبة الأحداث ونتائجها.

يتميز الأفراد المسجونون نتيجة إقترافهم لأعمال عنيفة بتقدير ذات منخفض، حاجة لتأكيد الذات بالعنف، شعور بعدم الأمن وعنف مرتبط بوضعية القائد في جماعة، أي أن العنف يصبح وسيلة مفضلة لبلوغ بعض الأهداف الفردية.

2.7. العوامل الوضعية: (الطابع المكتسب للعنف)

يعتبر السلوك العنيف في هذه الحالة إستجابة لإستفزاز شفوي (شتم، تهديد، تحقير،...) أو جسدي (حركات، ضربات،...).

يسبب الإعتداء الشفوي سلوكا عدوانيا أكثر عنفا عندما يأتي الإستفزاز من شخص مقدر من قبل الفاعل أو عندما يحتقر الشخص ويهينه أمام شخص ثالث، فحضور المتفرجين (النشطون بتشجيعاتهم أو توجيهاتهم، أو سلبيين باتخاذهم موقف المتفرج) يمكن أن يؤثر على السلوك العنيف.

يسمح حضور شخص ثالث للمعتدي بالإرتكاز على مرجع من خلال الضغط الفعلي أو المتخيل الذي يمارسه، فيسمح للمعتدي بتعديل سلوكاته.

3.7. عوامل مرتبطة بالإنتماء الإجتماعي:

بما أن كل فرد ينتمي إلى بنية إجتماعية فإن اقتراف بعض الأفعال يمكن أن يرتبط بهذا الإنتماء، فبعض الأفعال العدوانية يغذيها شعور الأفراد بعدم إمكانية تعرضهم للعقاب بسبب غياب تحديد مسؤوليتهم. كما أن الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة يكونون عادة أكثر عنفا وعدوانية من الأفراد المعزولين، وذلك بسبب توزيع المسؤولية على بقية أفراد الجماعة.

8. تأثير العنف على الصحة النفسية:

يمكن أن ينجر عن السلوك العنيف نتائج تمس البعد النفسي للمعنف على المدى القصير أو المدى الطويل، حيث يمكن أن تتخذ هذه النتائج عدة أشكال:

- حالات دهول des états de sidération (تتجمد الضحية بدون حراك).
 - حالات خلط des états de confusion.
 - حالات تشتت وهيجان.
- يمكن لهذه الحالات أن تشكل مراحل إنتقالية تسبق حالات إكتئابية (مصحوبة بشعور بالذنب، بالخل، بذهاب القيمة ويمكن أن تقود أفعال إنتحارية).

يمكن لجميع هذه الحالات أن تزول أو تستمر، كما يمكن أن تصاحب بحالات حصر متفاوتة الشدة.

يمكن للضحية التي عاشت حدثاً عنيفاً وصدمياً أن تعيش حالة إجهاد حاد تدوم حوالي 3 أشهر أو حالة إجهاد ما بعد صدمي لمدة تفوق 3 أشهر وذلك بسبب عدم قدرة الضحية على التسيير النفسي لما حصل لها. فتعيش الحدث الصادم (صور، أحلام، ...) وتصدر عنها سلوكات تجنب لكل ما له علاقة بالحدث، بالإضافة إلى إختلالات سوماتية (الأرق، صعوبات في الإنتباه، إختلالات في الذاكرة، ...)، حصر وإهتياجية .irritabilité.

تؤثر النتائج النفسية للعنف على بقية جوانب حياة الفرد المعنف: عدم فهم المحيط الأسري، صعوبات عاطفية (خوف، عدم إستقرار) ومهنية (غياب الدافعية، اللامبالاة).

في المقابل، هناك من الذين يتعرضون للعنف من لا يطورون أعراض بSIKO-صدمية (la résilience) لأنهم ينشطون إستراتيجيات تكيف و تسيير للحدث الصدمي.

9. النظريات المفسرة للعنف:

هناك توجهين رئيسيين للنظريات المفسرة للعنف، فالأولى تهتم بالسلوك العنيف لوحده في حين تدرس الثانية السلوك ضمن أطر أعم.

تندرج ضمن النظريات الأولى **النظريات الدوافعية les théories pulsionnelles** التي تؤكد على وجود كمية طاقوية خاصة تولدها العضوية بشكل عفوي والتي تقوم بدور دفاعي وتأكيدي داخل المحيط.

نجد ضمن هذه النظريات التيار التحليلي (Freud) الذي يتحدث عن تنظيم داخلي للفرد يسمح لهذا الأخير بالبقاء من خلال الإعتداء على الآخر، فالاعتداء l'agression باعتباره دافعا ذاتيا موجها نحو الآخر لا مفر منه.

من جهة أخرى، هناك النماذج الإيتولوجية le modèles éthologiques (الدراسة المنهجية لسلوكات الحيوانات) المبنية على دراسة سلوك الحيوان، التي ترى أن العدوانية هي تعبير عن غريزة القتال ودورها هو ضمان الحياة الإجتماعية وتطور النوع، فتفرغ هذه الطاقة التي تتراكم بشكل منتظم يتم بحث من مثيرات خارجية، فعندما نكون أمام طاقة مفرطة، نلاحظ اعتداءات عفوية تكبح إذا تبنت الضحية سلوكا خاضعا أو تظاهرات للألم.

أما فيما يخص التوجه الثاني من النظريات (أي التي تهتم بالسلوك العنيف ضمن أطر أعم) فنجد:

- النموذج المبني على الإحباط والإعتداء la frustration et l'agression (Dollard et Coll, 1939) الذي يفسر السلوك على أنه رد فعل un acte réactif متأثر بظروف وضعية معينة، حيث توجد علاقة وثيقة بين الإحباط (الناجم عن منع الفرد من بلوغ مقاصده) والإعتداء (التمثل في جرح الآخر).

يمكن تثبيط السلوك العنيف ونقله إذا إقترن بإمكانية العقاب، فالسلوك العنيف يحدث عندما يكون التثبيط أقل شدة من الإستعداد للإعتداء، كما أن التعبير عن العنف له أثر تفرغي un effet cathartique للضغوطات وبالتالي تخفيض للميولات العدوانية وإمكانية الإنخراط في سلوكات عنيفة.

بينت أبحاث أخرى بأن السلوك العنيف لا يتولد إلا إذا قدر صاحبه بأنه السلوك الأكثر فعالية مع الوضعية المحبطة، وإلا يختار الإستسلام أو تحاشي العقبة التي تواجهه.

يشير نموذج Berkowitz إلى أن الإحباط يؤدي إلى رد فعل إنفعالي من الغضب، فإذا إرتبط هذا الأخير بمؤشرات من المحيط فإنه يمكن أن يفجر سلوكا عنيفا تكون شدته الإندفاعية بحسب شدة الغضب.

يمكن أن يفسر السلوك العنيف من خلال ميكانيزم التعلم، حيث ننظر للإعتداء في هذه الحالة من زاوية السلوك المكتسب والمبقى عليه والمجدد كبقية السلوكات الإجتماعية.

فالسلوك العنيف يمكن أن يتعلم بالمحاولة والخطأ، أو بتقليد نموذج عنيف، فالتعرض لنماذج سلوك عنيفة يسمح باكتساب بعض المخططات السلوكية العنيفة.

أما النظريات المسماة معرفية فتحاول الكشف عن السيرورات الداخلية التي تتدخل في السلوكات العنيفة، مثل نية إحداث الضرر، التعدي على المعايير la norme، شدة الإستقزاز وكيفية إستقبال السلوك la recevabilité du comportement.